

## شوقي على المسرح

مع مقدمة في

## التمثيل العربي

بقلم ادوار حنين

لقد كثرت الابحاث في شعر شوقي ومناخيه المتشوّعة من  
عشق ' دوله ' و'تهنئة ' و'وطنية ' واجتماع . وما  
انا لنشر اليوم درسا واسعا في «مسرح شوقي» ، وهي  
ناحية قلما تعرّض لها النقاد ، وان فعلوا فبأسلوب  
ممتنع لا يشفي غيلا . وقد قدّم على هذا الدرس  
بحث في التمثيل العربي إجمالا ، تبيّنا لوضع شوقي من  
تاريخه هذا الفن .

## المقدمة

## التمثيل العربي

جاهلية ... وكان اسلام . فازدهر الادب العربي واثروا . إلا  
كانت انه لم يكن فيه تمثيل . ولم يتسرّب هذا الفن الى الآداب  
العربية الا في منتصف القرن التاسع عشر المتصرّم . تقول ذلك  
اعتقادا منا ان مقامات الهذلي والحيري وما اليها ليست من التمثيل في شيء ،  
مما كانت مزاعم بعض المستشرقين ، كما اننا لا نوافق برجسي زيدان<sup>(١)</sup> على ما  
قاله من ان «رسالة الفران» لابي الملا العربي تقرب من الكوميديا . والا  
لوجب ان نلّم بان اقصيص الاغاني ، لما فيها من المحاوره وغيرها من سميات  
التمثيل ، هي سلسلة روايات تمثيلية ... كلها مزاعم يصعب التلّم بها . فلا  
المقامات ، ولا رسالة الفران ، ولا روايات الاغاني ، ليست من النوع التمثيلي  
اذا ما فهمنا بالرواية التمثيلية : «تمثيل او عرض واقعة تلوخيّة ام اختراعية  
بواسطة اشخاص تنطبق افعالهم واقوالهم على حقيقة الواقع او الاحتمال»<sup>(٢)</sup>

(١) برجسي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٠٤ (٢) المشرق ٣ [١٨٩٩] ٢٠

الخطابة والوصف، والحالة هذه، شعراء الجاهلية عن الدرس الاخلاقي الذي لا أثر له في آدابهم كما نتحققه في رحلة تقوم بها في دواوينهم .

وانى للعربي التحاليل النفسانية والابحاث الاخلاقية ولا هم له في جاهليته الا الانتقال من بادية الى اخرى يجارب قريبه على مياه بئر القرة او على عشب سرعاه الضئيل ليضمن حياة ماشيته التي تتعلق بها حياته وحياة اهله . . . . والعربي ، وهذه حياته الثقاله وحالته المضطربة ، يعيش في المادّة والسادة ، قليل التأمل الداخلي ، ولا سبيل الى معرفة الخير لمن اخطأ معرفة نفسه .

فضلاً عن ان الدروس الاخلاقية تتطلب من صاحبها مخالطة الجماهير فالتقرب الى مجتمعاتهم والنظر الى الافراد والجماعات في حالات سكناتهم وحركاتهم والى كل حال من احوالهم الكمي تتوافر له المعلومات فيقيس ما بينها ويبنى على مقدماته النتائج . والبدوي كما نعلم رجل فردي ، نأال ، بعيد عن الروح الاجتماعية ، لا يحاط القوم ولا يجب ان يحاط فهو يردّد ابداً ما قاله الطنيزل بن عاصر :  
« كنت رجلاً احب الوحدة »<sup>(١)</sup> ، يقول ما قاله بدوي مسلم في صلواته : « اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً »<sup>(٢)</sup> وللجاحظ عن البدوي في كتاب البيان والتبيين ما يدعم قولنا هذا حيث جاء : « انهم تقاربوا في المودة وتباعدوا في الديار »<sup>(٣)</sup>

وقد قرأنا للاب لامنس في مثل هذا الموضوع قوله :

« اننا لئرى صفة واحدة تنفرع عنها جميع نقائص البدوي ، وتُلخص كل ما كان ينقص ذلك الرجل من المزايا الحاقية ، الا وهي صفة الفردية . البدوي رجل فردي . »<sup>(٤)</sup>

ثم زد ان البدوي ، شاعراً كان ام حكياً ، لم يكن واسع الخيال تروياً . وذلك لاسباب منها انهماه في المحسوسات وكثرة اهتمامه بالامور الوضعية

(١) الجاحظ : كتاب المحاسن والاضداد ١٠٢

(٢) ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٨٣

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٢٦

(٤) المثيرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

وكثرة تدقيقه في مشابهة الطبيعة. وقد عألى هذا النقص الاب لامنر بقوله<sup>(١)</sup> :  
ان حياة البدوي في عزته القاعة المستديرة تضمف خياله وقيت فيه تلك  
القوة المتجة . وزاد : ان نضاله المتواصل في سبيل الحياة وتفكيره الدائم بامور  
الغد وما يحمله له في طياته من خيرات وشورر وما يلزمه فيه من معيشة ووفونة  
تمنه من الاسترسال في الاحلام الشهية اللذيذة . . . حيث خلق الصور والاشباح  
من اللاشي . . . ثم قال : ان من نتائج ضيق مخيلته انه لم يحسن استعمال ما  
يسيه بالجن في اختراع نظام يرتب عليه الاشخاص اللابشرية من آلهة وانصاف  
آلهة على نحو ما تسميه الشعوب القديمة الغربية بالميتولوجيا .

والناظر الى ما خلقه لنا الجاهليون من الشعر يتثبت هذه الحقيقة بنفسه .  
وإننا ذاكرون له بعض الامثال يرى فيها الشاعر الجاهلي في احسن المواقف  
وادعاها الى الشعر والسوء، الا انها لا تستهض اجنحة مخيلته الثقيلة، وان فعلت  
قليلاً ليعود ويهوي كأننا هر طائر اجنحته من شمع ان زاد علوه زادت مجاورته  
للمس فالت اجنحته ، فهبط وكان هبوطه عظيماً .

واي شي . ادعى للخيال من ان يعود الشاعر المحارب الى ذكرى مواقفه  
السالفة ، الى انتصاراته وقتكه وثأره لدم اخيه المهذور غدرأ — اعني موقف  
المهلل في رثا . كليب اخيه — فيحيا جيمها امام عينيه لينظمها شعراً خالدأ ؟ —  
لا شي . ومع ذلك فاننا لا نرى في قصائد هذا الشاعر — على كونه من أئمة  
الشعر في الجاهلية — سراً يذكر . . . فلنسمعه في قصيدته المشهورة :

اليتسابذي حسم أنبري اذا انت اقتضيت لا نغوري

حيث جاء باحسن مقاطعه ذاكراً المارك والقتلى ، فقال :

ولو نش المنابر عن كليب	لاخير بالذنانب اي زير
وبوم الشيبين لقر عينأ	وكيف لفاء من تحت النور!
على اني تركت براردات	بعبراً في دم مثل البير
هنكت به بيوت بني عباد	وبعض القتل انفى لاصدور

ومأم بن مرة قد تركنا عليه القثمان من النور  
 قتل ما قيل المرء مرؤ وجاس بن مرة ذو ضرير  
 نرى ان الشاعر اقتصر على تعداد امكنة المواقع واسماء القتلى ولم يذكر  
 فيها خص ذلك شيئاً عما كان ... فاين وصف المعركة؟<sup>(١)</sup> ووصف القتلى  
 يتخبطون بدمائهم ، والسيوف تتخضع في صدورهم ... اين وصف تلاوي  
 الوماع ولعائها تحت التبع ، وصليل السيوف الى جنب ذوي سنابك الخيل  
 وكل ما توحيد من الاشباح والصور المارك الليلية ؟ كل هذا لم يأت له ذكر  
 في طول القصيدة وعرضها . نقص ناتج عن عدم وجود الخيال الفصح . وقد  
 تلس ضعف خيالهم في مراتب أخرى اذ يتبدى الشاعر منهم بعرض مشهد  
 فتأمل نفسك اذك - تراه كاملاً ، فا تلبث الا وتحدك امانيك ، فيظل الشهيد  
 على نقصه . من ذلك قول المهلهل :

ومار الليل مثلاً علينا كأن الليل ليس له حمار

وهذا :

وابكي والنجوم . طلعات . كأن لم نحرما عني البحار .

وكأها . مقدمات لمشاهد فيحة ، ولكنها لم تتم لمرء الحظ . ذلك من فقر  
 الخيال .

واحب ان اقف والقراء ، في سبيل هذه الغاية ، تجاه . مائة عنزة ، وهي من  
 اقتداء النادرة التي يمكننا ان نلمس فيها الخيال العربي ، ان كان ثمة خيال  
 عند شعراء الجاهليين . لقد استهل عنزة قصيدته بوصف الاطلاق واستطرد الى  
 وصف عبلة ، فوصف الناقة ، فوصف بطشه بالنظام حيث يمدد القتلى ويصفهم  
 وصفاً تهماً ، فوصف شربه للخمر وكرمه ثم العود الى وصف بطشه و١١٦١ في  
 الجروب وبه تنتهي ... قد ابتدأت بالوصف ، وانتهت بالوصف . وليس في  
 جميع هذه الموصوفات سوى وصف المحروس الماوس : الاطلاق ... الناقة ...  
 الميارين ... عبلة ... كل ما احاط بهم واعتادوا رؤيته في كل صبح ومساء ...  
 ثم انك تسع شعراء الجاهلية وحدهم الاسلام يكثر من ذكر

(١) اذكر وصف « وترلو » نيكيتور هوغو

« الجن » والشياطين ، فهل تعرض احدهم لوصفهم وتمداد ميزاتهم وتصويرهم لنا على شكل من الاشكال ؟ لا . فقد كان الجن ، ولما يزل ، يدل على مستوى مبهم لا نعرف من حقيقته وارضافه الشيء الكثير . . .

فلنا ، فيما تقدم ، ما نثبت به ان البدوي ضيق المخيلة ضعيف الخيال . ومن كانت هذه حاله فلا يتمكن من ايجاد المشاهد الرائجة وتصويرها وخلق الحوادث المؤثرة المثيرة والاشخاص الحية وبكلمة : كل ما يحتاج اليه المؤلف المسرحي لتأليف رواية تمثيلية . . . او محاولة تأليفها .

وهناك اسباب غير هذه حالت دون نشأة التمثيل العربي يجب اتخاذها بعين الاعتبار اهمتها ان الادب الجاهلي كان شعورياً . ومتى كان الادب على هذه الحال صعب على المؤلف ان يأتي بعمل طويل النفس مشتبك العواطف ، متعدد الاشخاص ، كما في الرواية التمثيلية . وصعب على غير المؤلف حفظ ما طال فالذاكرة محدودة . . . وما لم يكن سياراً بين القوم كان لا يؤخذ بعين الاعتبار عند اولئك الشعراء الذين ينظرون وهمهم الاكبر الشهرة .

ولا يخفى انه يتعتم على المؤلف المسرحي ، كي يتقن تأليف الروايات التمثيلية ، ان يتناسى نفسه تاركاً لمخلوقاته اي لاشخاص رواياته حرية القول والفعل بما تقتضيه اخلاقهم وطبائعهم وسنهم وجنسياتهم ومكانتهم ومرقبتهم . هذا ، والتستر وتناسي النفس ابعد الاشياء . عن خلق البدوي .

فهذه نقاط كان لها تأثيرها في عدم ظهور الروايات التمثيلية آنذاك . وهي ، وان لم تكن اساسية ، فانها تمد من الاسباب الثانوية التي يعتمد عليها في الاجتاه الادبية .

ولنضف سبباً خارجياً له بعض الشأن في المسألة ، وهو عدم رقي المجتمع الجاهلي . اذ ان شرطاً من شروط التمثيل الاساسية رقي المجتمع .

ولا يبرر للقول بالضد مما دعا الى ذلك الدكتور طه حسين<sup>(١)</sup> اذ لا جدال في ان العصور الجاهلية لم تكن عصور رقي وتمدن ، وان لم تكن كذلك

(١) في بصر الجاهلي : الطبعة الاولى ، ص ١٥

عصور همجية وتوحش . وانما هي عصور ليست من الرقي في شي . يُذكر . وان حالة شعب يوصف بما وصف به النبي الاعراب اذ قال « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر ألا يطمروا حدود ما انزل الله » حالةٌ — من حيث الرقي الاجتماعي — لا يحمدون عليها .

اما وجوب رقي المجتمع للفن التشيلي فهذا مما لا مرا . فيه ، ونظرة منا الى تواريخ آداب الشعوب القديمة والحديثة تقنعنا بصحة ما قدمنا . متى أتت اليونانيون رواياتهم التشيلية ؟ متى هذا حذوهم من اتى بعدهم من الشعوب حتى عصرنا ؟ أو لم يكن ذلك عندما اصبحت بيناتهم على قسط من الرقي لا بأس به .

\*\*\*

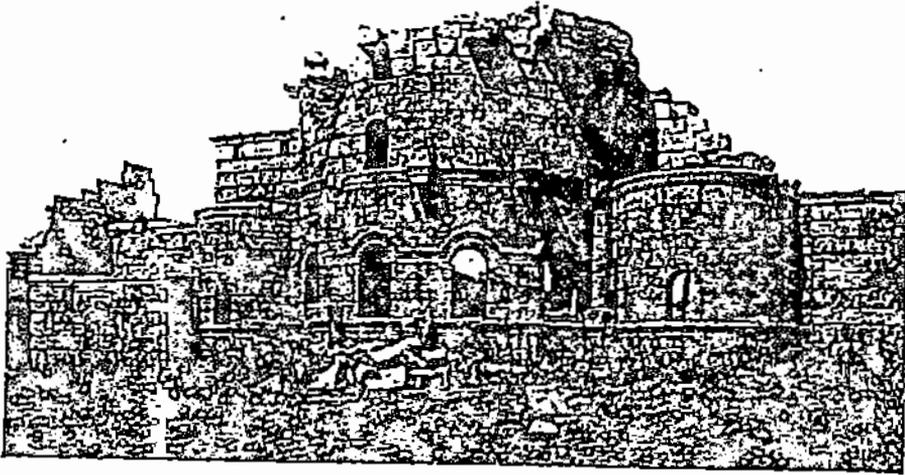
ولكن . . . لقد تصرمت العصور الجاهلية فكان خاتمها النبي والقرآن ؛ وامتدت العصور الاسلامية من الخلفاء الراشدين الى ايام قريية منا ، فاضحلت . معظم الاسباب القديمة التي كانت تحول دون نشأة المسرح العربي . اصبح الادب خطياً بعد ان كان شفويّاً ، وبلغ المجتمع مكانة عالية في الرقي والتسدين ، وتغيرت احوال العربي نوعاً اذ اصبح في رخاء وتعددت لديه اسباب الراحة وتنعم بالعيشة الهادئة الهنيئة التي توفر له اسباب التفكير والتأمل . . . والاسترسال في تيار احلامه ، فتأثر خياله من محيطه نوعاً ، وتم له معظم ما كان بحاجة اليه لايجاد التمثيل . . . ومع ذلك لم يقدم عليه .

فما هي دواعي هذا التأخير ؟ وكيف يمكن شرحها وتعليلها ؟ ذلك ان ادباء المسلمين وشعراهم ساروا على خطى اسلافهم ، فقلدوهم وافراطوا في التقليد الى ان اصبح المبدع فيهم من ادق التقليد واجاد فيه . وهذا ما حمل الدكتور طه حسين على القول في كتابه « في الشعر الجاهلي »<sup>١١</sup> :  
« فلت اعرف أمة من الامم القديمة استسكت بمذهب المحافظة على الادب ولم تجدد فيه الا بتقناز كالامة العربية » . وزاد للبرهان « فحياة العرب

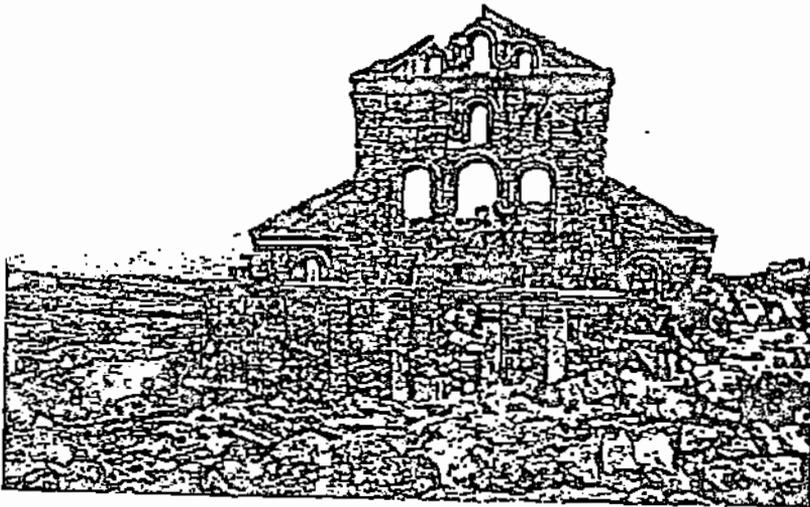


اربعه ۱ - منظر وریخته (ساحه و باغچه)

(عزیزالله بن مازن، *Al-Muqaddasi*, *Al-Hudud wa'l-Mamalik*)



الرسم ٢ - داخل قلعة - مان  
( عن الكتاب رقم 1, XXX, pl. )



الرسم ٣ - واجهه كنيسة في بديره  
( عن الكتاب رقم 3, XIX, pl. )

الجاهلين ظاهرة في شعر الفرزدق وجبرو وذوي الرمة والاختل والرامي اكثر من ظهورها في هذا الشعر الذي ينسب - وهنا ترى شك الدكتور في صحة نسبة الشعر الجاهلي - الى طرفة وعنترة والشاخ وبشر بن ابي خازم .

ولا عجب في ذلك ، ونحن لا تزال زى حتى ايامنا هذه ، جماعة من الكتاب والشعراء - مع كوننا في القرن العشرين - لا يلبث لهم من انواع الكتابة والنظم الا تقليد الاقدمين والسير على ما عبده لهم من الطرق . وهكذا قلد ادباء المصور الاسلامية اسلافهم تقليداً كثير التقيّد حتى كان لا يستطيع واحدهم الظنّ انه يحسن الاجادة حيث لم يحسنها ابلانه ، وان من الفنون الشعرية ما لم يفكر به الاقدمون .

ولكن ان كانوا لم يؤلفوا الروايات التشيلية ، جرباً على عادة القدماء الجاهلين ، فلماذا لم يتلقوا عن اليونان ، وقد نقلوا عنهم فلسفتهم وعلومهم من طب وهندسة ونجوم ومنطق ؟

على هذا نجيب بان اكثر ما بعث المسلمين الى النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . . . والعلوم عامة ، وليس ما بعثهم اليه رغبتهم في آداب الغريباء وتاريخهم .

ثم ان العربي كان يفاخر الاعاجم بأدابه وكان لا يقر لامسة من الامم يثل ما عنده . وليس من المأمول بعد هذا ان يتقل اداب الاعاجم الى لغته فيعطي على نفسه بنفسه .

هذا وربّ قائل يقول : ولكن الترجمات لا تخلو من كتب في الادب منقولة عن النارسية والهندية كانت نيلة ويلة ، وكلمة ودنة ، وغيرهما ، فلماذا نقلوا هذه ولم تتنهم مفاخرتهم ، فكثفوا بها ، ولم يتقوا شيئاً من الآداب اليونانية ؟

فنجيب ان الترجمة كانوا يتقون غالباً كتب الادب من عند انفسهم ورغبة في اظهار ماثر اسلافهم او جيرانهم .

فالترجمون الفرس مثلاً كانوا المتقن وآل نوبخت وعلي بن زياد التميمي المكنى بابي الحسن نقلوا شيئاً من آداب الفرس . وكذلك نقل الترجمة السريانية

والحالة هذه يتحتم علينا اثبات هذه الحقيقة عن غير طريق القرآن ففتسد الى الحديث حيث تتوافر البراهين ، ونجد التحريم في جلاء ووضوح اذ لا يعود للشك من سبيل . اما كيف نلص هذا التحريم في الحديث فهذاما نحن مظهرون : لا يطول الوقت بقارئ الحديث الا ويرى كثيراً من الاقوال في تحريم الصور والتماثيل ، كلها مستندة الى عائشة فالتبي ، او الى النبي على غير طريق عائشة ، وهي غاية في الوضوح .

كثمل قولهم عن . . . عن النبي : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاويره »<sup>(١)</sup> وهذا : « حدثنا موسى عن . . . قال : حدثنا ابو زرعة قال : دخلت مع ابي هريرة داراً بالمدينة فرأى في اعلاها مصوراً يصور فقال : « سمعت رسول الله يقول : ومن اظلم بسن ذهب بخلق كخلقى »<sup>(٢)</sup>

وهذا : « حدثنا ابراهيم بن المنذر عن . . . عن النبي قال : « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة . يقال لهم احيوا ما خلقتم »<sup>(٣)</sup>

وهذا : « حدثنا علي بن عبد الله قال . . . قالت عائشة : قدم رسول الله من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه الرسول هتكه وقال : اشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاھون بجلت الله »<sup>(٤)</sup> وهذا :

حدثنا حجاج بن منھال عن . . . قال النبي : ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ؛ يقال لهم احيوا ما خلقتم . وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور »<sup>(٥)</sup> وهذا : « حدثنا الحميدي عن . . . قال : كنا مع مسروق في دار يسار بن ثير فرأى في صفته تماثيل فقال سمعت عبد الله . . . سمعت النبي يقول : ان اشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون »<sup>(٦)</sup> وقد ورد في صحيح ابن الاثير

(١) البخاري - الصحيح (طبعة Krehl) الجزء الرابع : كتاب اللباس ، الباب ٩٠ : ص ١٠٤

(٢) البخاري - الصحيح - الجزء الرابع : كتاب اللباس ، الباب ٩٠ ص ١٤

(٣) البخاري - الصحيح - ب ٨٩ : ص ١٠٤

(٤) البخاري - الصحيح - ب ٩١ : ص ١٠٤

(٥) « ب ٩٣ : ص ١٠٥

(٦) « ب ٨٨ : ص ١٠٤

الجزيرة العربية المادنة ، المطننة تحت راية الاسلام وصحائف القرآن ، آيات الكفر والشرك ٩

يبقى ان نتبسط في نقطة قد تكون العامل الاكبر في عدم وجود التمثيل عند العرب الا وهي : تحريم الاسلام صنع الصور والتماثيل على المسلمين<sup>(١)</sup> . ولما كان التمثيل نوعاً من التصاوير والتماثيل - كما سترى - فقد لحق به التحريم وقضى عليه قضاءه على غيره من الفنون .

تقدم افضى البحث بالاب لامنس اليسوعي ، صاحب الدروس القيمة في الاسلام والمسلمين ، الى القول بان النبي لم يحرم الصور في آية من آيات قرآنه<sup>(٢)</sup> . انما هو تحريم صادر من المحدثين والمفسرين ، وقد دعم قوله هذا بشراهد راسخة متينة ، يمكن ان يتحقق صحتها كل من يجول بتدقيق في صفحات القرآن فلا يجد آية صريحة في التحريم .

اما الآية التي يستند اليها المحدثون والمنسرون من الفاضين بالتحريم ، وهي : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه . وأحلّت لكم الانعام الا ما بُتلي عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » (٢٢ : ٣١) فالحق يقال انها بحاجة الى الكثير من التكلف في التأويل كي تنتج ان محمداً حرم جميع الصور والتماثيل على اتباع دينه .

على انه مهما كان موقف النبي من هذا التحريم ، فنحن بين امرين لا ثالث

لهما :

اما ان نسلم ونقول مع الفقهاء والادباء القائلين بتحريم القرآن صنع الصور والتماثيل فنكون قد بلننا غايقتنا من بحثنا ، على امرين طريق ، ونكون قد اثبتنا العامل الاكبر لعدم وجود الروايات التمثيلية ، واما ان نقول عكس ما ناله هؤلاء . فنفتي ما اثبتوه وما اقرّوه في القرآن من تحريم صنع الصور والتماثيل .

(١) راجع Lammens, op. cit., p. 354 ولاحقاً بحثه المنون *L'attitude de l'Islam primitif en face des arts figurés.* [Études sur le siècle des Omeyyades, pp. 351-389]

(٢) « ان القرآن لم يحرم في آية من آياته صنع التصاوير والتماثيل . ولم يكن لهذا التحريم من معنى في الجزيرة العربية » (الكتاب نفسه والمضغفة نفسها)

بخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطابق الصورة ، عند العامة ، على التمثال  
 ايضاً<sup>١</sup> . هذا ، واي تراطؤ بين هذين التحديدين . . . واية نسبة ؟  
 فلنقل قبل كل شي . ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما  
 اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً ، وعلى كل له كيانه  
 الشخصي ووجوده المستقل وهيته واحوال مبيته الخاصة التي لا يتغنى عليها  
 وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شي . اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً  
 كالونك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل وبمميزاتهم الفارقة وحقيقتهم  
 المجردة غيبهم عنا البعد . . . او الموت .

والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى  
 الاول يقمان في ورق او خشب او حجر او حديد او . . . وفي المعنى الثاني فهي  
 صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم . . .  
 على جسم انساني .

وهذا لصري فرق لا يذكر من ناحية الفن . ا دام القصد كل القصد منها  
 ان « تذكرنا بالنيب حتى كأننا ننظر اليه »

واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر يظهر شخص  
 آخر نجب تمثيله وتصويره ، فيذكرنا بشكله وتلايمحه ، بصوته ومشيته  
 ومعظم مميزاتة الخاصة ؟ ؟

واذا فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثم اجدر  
 بالتحريم من الصورة في الورق او في الحجر .

ومن ثم فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتمثيل يتناول التمثيل  
 الروائي او المسرحي تناوله « التصوير بالكتابة » على الاقل

وانت ترى انها - اناة التي نظرت اليها - تبلغ بك الى النتيجة الواحدة  
 الاكيدة وهي : ان الاسلام يحرم الفنون المصورة التمثيلية عامة وكل ما يسميه

في الجزء الاول منه (ص ١٤٢ س ٧):

« ان النار قالت: وُكِلت بثلاثة: بين جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصرّين »

وكلها تحريم ناطقة ينهى فيها عن صنع الصور والتماثيل؛ ولا فرق، في مجئنا، أنتاج هذا التحريم عن النبي مباشرة ام هو مصنوع قام به وطأع الاحاديث<sup>(١)</sup>، لانه تحريم سار بين المسلمين اجمعين سير الحقائق الدينية الاولية اما كيف توصلنا، بكل هذا، الى الزعم بان هذا التحريم شامل التمثيل المرحي ايضاً فنقول:

ان التمثيل، الذي قدّمنا البحث بتحديدته فقلنا انه « عرض اخبار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها. اذ يحاكيهم في طبائعهم وعرائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاة بها يجتئل لنا انهم نشروا من مدافنهم وظهروا علينا بظهور الاحياء على حالتهم الاصلية كأنهم لم يغيروا عن عالم الوجود »، لا يختلف البتة عن التمثيل والتدوير الوارد ذكرهما في الحديث اذ ليس التمثيل بسوى ما نُمت به في محيط المحيط<sup>(٢)</sup> حيث جاء: « مثل الشيء. فلان: صورته بالكتابة وغيره حتى كأنه ينظر اليه وجاء<sup>(٣)</sup>: التمثال الصورة المصورة ج تماثيل. وقيل التمثال ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصوره. وجاء فيما يخص الصورة<sup>(٤)</sup>: الصورة هي الشكل وكل ما يُصور مشبهاً

(١) لقد دعا المحدثين والمفسرين والفتاوى الى هذه التحريمات أنهم كانوا ينادون على عبادة الله « الخالق » ان يشابهه جبا الناس فكان يضرمهم ان يروا - لا الصور و التمثيل - ولكن ما في هذه الصور والتماثيل من التشبّه بخلوقات الله، وهو تشبّه من شأنه تضليل المؤمن في نظرم، وهو مضاعفة، اي مزاحمة ائمة فقه الثناني الالسن الذي كثيراً ما اطهره النبي بظهور المبدع والمصور الاكبر، والثناني الذي احتكر لنفسه صنع الصور (راجع القرآن ٣: ٤٤؛ ٦٦: ٤٠؛ ٢٤: ٥٩؛ ١٣: ٦٥) ففتش ارباب الحديث من هذه الافكار وانذفوا يندقون التحريمات.

(٢) المللم بطرس البستاني: محيط المحيط - ١٩٤٧: ٢ - في اسفل السور الاول

(٣) محيط المحيط ٢: ١٩٤٨ - في اسفل السور الثاني

(٤) المللم بطرس البستاني: ك. م. - ١٢٢: ١ السور الاول

بخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطلق الصورة ، عند العامة ، على التمثال ايضاً<sup>(١)</sup> . هذا ، واي تواطؤ بين هذين التحديدين . . . . . واية نسبة ؟  
فلنقل قبل كل شيء . ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً ، وعلى كل له كيانه الشخصي ووجوده المستقل وهيبته واحوال معيشته الخاصة التي لا يتفق عليها وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شيء . اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً كالولئك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل وبمميزاتهم الفارقة وحقيقتهم المجردة غيبيهم عنا البعد . . . . . او الموت .  
والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى الاول يقمان في ورق او خشب او حجر او حديد او . . . . . وفي المعنى الثاني فبوي صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم . . . . . على جسم انساني .

وهذا لعسري فرق لا يذكر من ناحية الفن ما دام القصد كل القصد منها ان « تذكرنا بالتيب حتى كأننا ننظر اليه »  
واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر بظهور شخص آخر نجح تمثيله وتصويره . فيذكرنا بشكله وتلاويحه ، بصوته ومشيته ومعظم مميزات الخاصة ؟ ؟

واذا فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثم اجدر بالتحريم . من الصورة في الوراق او في الحجر .

ومن ثم فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتثيل يتناول التمثيل الرائي او المسرحي تارة « التصوير بالكتابة » على الاقل  
وانت تبي انها . . . . . اني نظرت اليها تبلغ بك الى النتيجة الواحدة الاكيدة وهي : ان الالام يحرم الفنون المصورة التيشلية عامة وكل ما يسميه

الافرنج بقولهم (Les arts figurés)

وربّ غافل يقول : ان الاسلام منع التمثيل ولكنه لم يمنع تأليف الروايات التمثيلية ؟ فطلى هذا نجيب بما هو معارم : ان الرواية التمثيلية سميت بهذا الاسم لانها وضعت للتمثيل ، ليس غير ، فخرج منها عن هذه الغاية فقد يكون اثرًا ادبياً قياً ، وآية من آيات الفن ، وشطية من شطايا الجمال . . . قد يكون كل هذا ممأ ، اما رواية تمثيلية فلا . . .

\*\*\*

هكذا كانت الاداب العربية قديماً ، وما زالت في سمرّ وهبوط ، في ازدهار وانحطاط ، وهي غافلة لاهية عن الفن التمثيلي ، الى ان اقبلت النهضة الاخيرة بعد تلك الصور الرائدة . فيث نابوليون ، الى بلادنا ، جذوة من التبوغ والحياة ، من عن افواه مدافعه التي درت سنة ١٧٩٩ في آذان ابي الهول فافاق لصوتها الشرق ، وكان من امره ما كان .

كانت نهضة شريفة في مهدها ، نهضة لم تزل نحن من القائين بها ، وهي لم تبلغ بعد الى حيث عقدها عليها من الآمال .

هو نابوليون الذي قضى على القنور ، وزرع بذور النهضة الحالية ، وهو هو الذي فتح اميننا على التمثيل خاصة اذ اوجد بتصر اول مسرح . الا انه لم يكن في مصر السعيدة من يتقبل عليه . فتتحت هذه عن الجهاد في سبيله الى اخيها لبنان . فنتبع فيه مارون نقاش ، اول من هب الى وضع الروايات التمثيلية . واليك التفصيل :

كلنا يعلم ان كان من امر نابوليون القائد عندما حلّ في مصر . جاء ومعه غير واحد من جهايزة الاطباء والمهندسين والرياضيين وغيرهم من العلماء الافذاذ الذين فضلوا الجبرّ الهادي ، وان غريباً ، على جوّ فرنسة المتكهرب القاتم الذي ارجفته الثورة الافرنسية الكبرى وجملته شديد الوطأة على العلماء والمفكرين .

وكان بين رجال حملته العلية رجلان قديران من اصحاب القنون الجميلة

وكبار الموسيقين وهما اللذان عززا الفنون والاداب وذلك بقيامهم بتثيل  
بعض الروايات الافرنسية لتلبية الضباط وترويح انفسهم وقد اشغل الجنرال  
منو الشهير بتشييد مسرح للتثيل سنه « مسرح الجمهورية والفنون »<sup>(١)</sup>  
« ولكن ذلك كله ذهب في ذاهبهم » كما قال زيدان :

اجل ان هذا لم يكن تمثيلاً عربياً . الا انه لا يخفى ما في تثيل هذه  
الروايات من التأثير على ادباء مصر . وهو تأثير لا ينكر ، وان لم نشهد شيئاً من  
نتائجها .

كان ذلك كله سنة ١٧٩٩ . . . وقد اقبلت سنون وتصرمت سنون ،  
ولم ينتج ادباء مصر وشعراؤها شيئاً مما يمكننا ان نسميه تمثيلاً . . . كانت مصر  
في حالها اذ ذاك تقضي على البذور الصالحة التي ترمى في تربتها المنتجة الخصبه .  
وكان لنا ان نتظار نصف قرن لنشهد في لبنان ، وفي بيروت من ابهاء بيوت  
الضيقة ، تمثيل اولى الروايات العربية ، اعني رواية « البخيل » التي نقلها عن  
« مولير » الاديب اللبناني مارون نقاش . . . ولم تحضر سياتان حتى مثل في بيته  
ايضاً ، وعلى مشهد من فواصل الدول ورجالات المدينة واصحابه واقاربه ، اولى  
الروايات العربية الوضع « ابو الحسن المثل » او « هارون الرشيد » . وهكذا  
فان اول من اشغل بهذا الفن مسيحي لبناني ، فشجع اخوانه المسلمين العربيين  
على طريقه لما فيه من عاين وجالات .

ومما لا يخفى ان النقاش لم يهتم بوضع هذه الروايات الا تلبية لدعوة  
الاعتداء بالافرنج عامة ، وخاصة بالايطاليين الذين امّ ديارهم فزارهم في عواصمهم  
ورأى فيها فن التمثيل باهى حاله واجل مظاهره . فلم يكذب يستقر له قرار  
في بيروت حتى اقدم على تعريب البخيل بتصرف ، وتأليف جوق للتمثيل اقتصر  
على بعض ذويه واصحابه . . .

وللنقاش حسنة نجب ان نسلها له ايضاً بعداد الفضل وهي انه خرج  
بالمسرح الى خارج داره الخاصة ، الى مكان في جانب منزله حيث مثل

(١) جرجي زيدان : تاريخ الاداب العربية : ١٥٢ : ١٥٣

« الحسرد » . . . وإذا فهو الذي اوجد التشيل وخطا به خطأ ذات شأن .  
 وما ان شاهد اللبنانيون آثار هذا الفتح الجديد حتى اعجبوا بها فهبوا  
 يرضون الروايات في المسارح الخصوصية ، والمدارس الكبرى ، والمسارح  
 الصومية . وقد نبع نجمة من المثلين في بيروت اشتغل اكثرهم في هذا الفن  
 رغبة فيه ، لا في سبيل الكسب ذكر منهم سليم النقاش ابن اخي مارون  
 نقاش ، واديب اسحق الاديبي المعروف ، فترجا روايات عديدة وألقا بعضها  
 وجما جوقاً مثل مراراً في بيروت .

وقد احدثت هذه النهضة التشيلية ميلاً في الشعراء والمؤلفين لوضع الروايات  
 التشيلية ان تقلاً وان تأليفاً . فنبغ بهذا الفن النجيبان نجيب الحداد (١٨٦٧-  
 ١٨٩٧) ونجيب حبيقه (١٩٠٦+) فخلف الاول ، على قصر حياته ، عدة روايات  
 اكثرها معربة منها : السيد الكورنيل ستاها : غرام وانتقام — هرناني لهوغو ستاها :  
 حمدان — روميرو وجوليات لشكبير سهاها : شهداء الغرام — صلاح الدين : عن  
 قصة لولتر سكوت — رواية المهدي مثل فيها بعض حوادث المهدي السوداني .  
 اما نجيب حبيقه فاشهر رواياته لم تطبع بعد « كلصوص الغاب » ، و« شهيد  
 الوفا » ، وله رواية مطبوعة ستاها : « الفارس الاسود »

وقد عاصر هؤلاء غير واحد من الادباء الروائيين المسرحيين لا مجال  
 لذكرهم وذكر مؤلفاتهم في هذا المقام .

ولم يتوقف المؤلفون المسرحيون عند هذا الحد ، فراح قوم منهم يولفون  
 الروايات التشيلية الشعرية فكان لنا منها ما يستحق الذكر كالمروءة والوفاء .  
 للشيخ خليل اليازجي<sup>١١</sup> ومقتل هيرودوس لولديه للشيخ عبدالله البستاني  
 وقد توالى الروايات التشيلية الشعرية العربية على هذا الترتيب .

١١ جاء في تاريخ آداب اللغة العربية لربدان (١٥٧: ٤) ما يلي : « ومن اتفن الروايات  
 التشيلية المؤلفة في اللغة العربية رواية المروءة والوفاء . للشيخ خليل اليازجي وهي الرواية  
 الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » قلنا : أما ان تكون المروءة والوفاء من « اتفن الروايات  
 التشيلية المؤلفة باللغة العربية » فكلام يفرق من الصحة ، ولكن أن يقال انها « الرواية  
 الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » فنقول يحتاج الى اصلاح كما ترى .

اسم المؤلف	اسم الرواية	السنة
ابراهيم الاحدب	التحنة الرشدية	١٨٦٨
«	وشي البراعة	١٨٦٩
الشيخ خليل اليازجي	المروءة والرفاء	١٨٨٤
خليل باخوص	الحارث	١٨٨٧
الشيخ هيداه البستاني	مقتل هيرودس لولديه	١٨٨٩
سيخايل غبريل	السادة في الشهادة	١٨٩١
رشيد الحاج عطية	تبرئة التهم او جزاء المكر	١٨٩٧
شاكر طازار - نجيب زلزل	تنازع الشرف والنرام (السيد)	١٨٩٨
يوسف مراد المتوري	تصمر التمان	١٩٠٣
يوسف شلي ابي سلجان	لويس دي غوتراغا	١٩٠٣
قهر المتوري	حزب الاغتراب والافتراب في حب الوطن	١٩٠٤
الياس طنوس المويك	مرآة القرون المتوسطة	١٩٠٩
الدكتور سلجان غزاله	لمحة الابطال	١٩١١
احمد زكي ابوشادي	الزباء او زينوبيا ملكة تدمر	١٩٢٧
الى ان فكر شوقي بفن التمثيل فنشر :		
احمد شوقي	مصرع كليوباترا	١٩٢٩
«	مجنون ليلى - قبير	١٩٣١
«	علي بك الكبير	١٩٣٢
«	عنبرة	١٩٣٣

نشرنا هذا الجدول توطئة لذكر روايات شوقي ، كما اننا وضعنا هذه المقدمة الطويلة تهيئاً لدوننا هذه الروايات درماً ادبياً خالصاً معتدين فيه كل ما يتطلبه النقد الفني التزيه . . . وعلى الله الاتكالم

### مأخذ

حاجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية - مطبعة الهلال ، مصر  
الاب لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت  
ابان البستاني : مقدمة الالباة - مطبعة الهلال ، مصر .  
الدكتور ط . حسين : في الشعر الجاهلي - مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر  
فؤاد افرام البستاني : الروائع : ٣ الشعر الجاهلي - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت  
« « : مخطوطة في الآداب المصرية